الفصل السابع

خطايا الطلاق واللواط

ننسى جميعنا، نحن المسيحيين، أحياناً تأكيدات الكتب المقدسة، "الجميع أخطؤوا وقصروا في الوصول إلى مجد الله ولا تدينوا، لكيلا تدانوا". وهي الآن تبدو مثل حادثة فكاهية، ولكنني كدت أفقد انتخابات الرئاسة تقريباً من محاولتي أن أشرح هذه الأنواع من النصوص الإنجيلية. ولن أنسى أبداً هلعي من رد الفعل حين أجبت، في أثناء حملة الانتخابات الرئاسية في عام 1976، سؤالاً لمراسل مجلة بلاي بوي عما إذا كنت قد اعتبرت نفسي أرفع من الأمريكيين الآخرين لأنني كنت مسيحياً. واقتبست بعض التعابير من موعظة المسيح على الجبل والتي أبى فيها أن يميز بين أولئك الذين قتلوا والذين حملوا البغضاء في قلوبهم، أو بين الزناة المحصنين وأولئك الذين نظروا إلى امرأة نظرة شبق. وأنكرت أنني ارتكبت زنى المحصنين، ولكنني صرحت بأنني شعرت بالرغبة الجنسية نحو بعض البنات اللواتي عرفتهن. وثارت عاصفة نارية من النقد من خصومي السياسيين ومن القادة المشهورين للكنيسة بسبب "شبقي"، وفي غضون أسبوع فقدت 10 بالمائة من النقاط في استطلاعات الرأي العام.

وكما لاحظنا سابقاً، فإن إحدى الصفات المميزة المثيرة للاهتمام من صفات الأصوليين هي أنهم يتملكهم وسواس بقضية عاطفية واحدة أو قضيتين، مثلما هو الحال مع اللواط بين بعض الطوائف الدينية. فالعديد من العابدين المخلصين يحترمون اللواطيين ولكنهم يرفضون أن يعطوا مباركتهم الدينية إلى مثل هذه

العلاقات الجنسية، في حين اختار بعض الناس الآخرين الشواذ والسحاقيات ليكونوا أهدافهم الأولى وقبل كل شيء للتحقير. فقادة المؤتمر المعمداني الجنوبي، على سبيل المثال، رفعوا اللواط إلى ذروة من الأهمية الكبيرة بين الانحرافات عن تعريفهم الضيق والمتصلب بشكل متزايد للإيمان المسيحي.

وهناك ما هو أكثر إزعاجاً وهو الزعم أن متناذرة نقص المناعة المكتسب نقص المناعة الإنسانية (اتش آي في/ إيدز) هي عقوبة من الله لأولئك الذين قد ارتكبوا الخطيئة ويجب أن يعاملوا وفقاً لذلك. لقد تقابل المسيح مع المجذومين، وهم أيضاً كان ينظر إليهم على أنهم خاطئون، ومدانون من الله، وقادرون على تلويث جيرانهم. وهو بذلك ضرب لنا مثلاً بالتواصل معهم، محباً لهم، وشافياً لهم، ومسامحاً لهم. إن قلة من القادة الدينيين الغوغائيين المهوشين، كانت تروج الإدانة العامة والسخرية من الشاذين ترويجاً متزايداً، ويميل القبول السياسي لهذه المعاملة إلى توثيق صحة هذا التمييز وتشجيعه.

وأتذكر أن جيري فولويل قال مباشرة بعد الهجوم الإرهابي في 9/11 على أبراج التجارة الدولية: "أنا أعتقد حقاً أن الوثنيين، ودعاة الإجهاض، ودعاة المساواة النسوية، والشواذ، والسحاقيات، الذين يحاولون بنشاط أن يجعلوا ذلك نمط حياة بديل (...) أنا أشير بأصبعي في وجوههم وأقول (أنتم ساعدتم هذا على الحدوث)". ووافق على ذلك سريعاً بات روبرتسون، مضيف فولويل في البرنامج التلفازي نادي 700.

وهناك طوائف أخرى، وهي طوائف مسيحية أكثر اعتدالاً، تتصارع أيضاً مع قضية الشواذ، ولكن نادراً ما يكون الصراع مع الإدانة نفسها والاستبعاد من المباركة المسيحية. إن المشادات محدودة عادة بتنصيب الكنائس لكهنة شواذ والقيام بعقد القرانات الدينية بين مقترنين شاذين.

ومع أن يسوع المسيح لم يُضمِّن اللواط في تذكِراته الصارمة جداً عن الانحرافات عن الحياة الصحيحة، فإن القديس بطرس ضمّن الأفعال اللواطية في قائمة طويلة من اهتماماته الخاصة. ولكنه كان حريصاً دائماً على أن يمزج مواعظه بالوعظ ضد إدانة الآخرين، وكما يعرف كل المسيحيين، فإن بطرس شدد مراراً وتكراراً على أننا جميعاً خاطئون، وأن جزاء الخطيئة الموت، ولكن من خلال الإيمان بالمسيح يمكن أن يُغفر لنا تماماً.

الدكتور جيمي ألين هو واحد من أبطالي المسيحيين، وهو آخر رئيس معتدل للمؤتمر المعمداني الجنوبي. عانت عائلته معاناة حادة من ويلات مرض الإيدز ومن رفض جماعات المصلين المعمدانيين أن يقبلوا بعض الأعضاء المصابين من عائلة ألين في الصداقة المسيحية. ويقول ألين: "مشكلتنا ليست في تعريف الخطيئة، إنها في فهم اللطف ... فإذا كنا فعلاً نحب الشخص، فإننا نستطيع أن نتعامل مع سلوكه المنحرف أو مع سلوكها المنحرف..." وأضاف: "ما لقينا وقتاً صعباً في فعله هو كراهية الخطيئة، ولكن مع حب المخطئ. ولا نكران، أن مثل هذا الموقف الإنجيلي المتوازن لن يكون موضع رضى شامل من المجتمع الشاذ. كما لن يكون مقبولاً قبولاً كاملاً من المجتمع (المستقيم). ولكننا سنسمع (حسناً فعلتم، خادم طيب ومخلص) من الشخص الذي يعتد به، في حين نتعلم نحن أن نحب في روح المسيح".

لا أرى أي إمكانية للطوائف المسيحية المتعددة في أن تحل حلا كاملا المناظرات التي تدور حول المكانة الدينية للشواذ وللسحاقيات، ولكن ليس هناك من سبب يجعل هذه القضية تدق إسفيناً بيننا أو يجعل بلادنا تنقسم في المعترك السياسي. وفي الحقيقة، هناك خلاف قليل جداً في الرأي في هذا الموضوع بين

الأحزاب السياسية، بعد أن كان المرشحان الرئاسيان في عام 2004 معارضين لزواج الشواذ ولكنهما كانا موافقين على الاتصالات الجنسية المعترف بها قانونياً والتي من شأنها أن توفر حقوقاً مدنية متساوية للمتصلين من الشواذ والسحاقيات. وبرغم هذا الاتفاق، فإن هذه القضية الضئيلة الأهمية نوقشت بحرارة في أثناء الحملة الرئاسية، ودفع بها إلى المقدمة عدد قليل من الغوغائيين السياسيين الماكرين الذين روجوا تعريف الزواج مع تعديل للدستور الأمريكي. وكانوا يعرفون أن هذا المقترح متعذر من الناحية السياسية، ولكنهم حافظوا على القضية قريبة من مقدمة الحوار العاطفي حول القيم الأخلاقية.

ونظراً إلى أن عقوبة زنى المحصنين في العصر المسيحي وفي الأزمنة الأقدم منه كانت هي الموت، ونظراً إلى أن المسيح نفسه دان بقوة كلاً من الزنى والطلاق، فإن إجراء تعديل دستوري أكثر انسجاماً مع الأصالة الإنجيلية قد يكون بالصيغة التالية: "زنى المحصنين والطلاق مدانان، ويعرف الزواج بأنه اتحاد قانوني وروحي بين رجل وامرأة حتى يفترقا بالموت". ومع وجود غالبية واضحة من الأمريكيين تتغاضى عن الطلاق وتعتقد أن من المقبول للشواذ وللسحاقيات أن ينغمسوا في سلوك جنسي مثلي، فقد يكون من الأفضل ترك الدستور الأمريكي بحاله.

جميعنا نرى أن القيم الأسرية واستقرار الزواج مهمة للغاية. ولم أكن أعرف شخصاً مطلّقاً قبل أن أذهب إلى الكلية، ولكن الطلاق الآن صار شائعاً على نحو مفزع. فمن بين كل الأمريكيين البالغين، عانى 25 بالمائة منهم طلاقاً واحداً على الأقل، مع اختلاف الحدوث بحسب الانتماء الديني والعمر. ومن بين المجموعات المسيحية الكبيرة، يأتي المعمدانيون في القمة، 29 بالمائة، والكاثوليك واللوثريون

21 بالمائة. وباستثناء الآسيويين (9 بالمائة فقط)،كان كبار القسس البروتستانت هم أخفض مجموعة (15بالمائة). أطفال فترة ازدهار المواليد بلغوا 34 بالمائة، والذين تبلغ أعمارهم بين الثالثة والخمسين وبين الثانية والسبعين 37 بالمائة، والمواطنون الأسنّ 18 بالمائة فقط. هناك أسباب كثيرة لهذا التهديد لقداسة العهود الزوجية، ولكن قلة من الناس تنظر إلى اللواط بوصفه عاملاً مهماً في هذه الكثرة من الزواجات الفاشلة.

ولعل من الواجب علينا، بدل أن نترك القضية الخلافية لتبقى مثيرة للشقاق إلى هذا الحد بين مواطنينا، أن نفصل المدخلين الأساسيين لها، وذلك بأن نترك للحكومات أن تعرف وتحمي الحقوق المتساوية للمواطنين، ومن جملتهم الذين يتزوجون "بالاقتران المدني"، ونترك لجماعات مصلي الكنيسة أن يعرفوا "الزواج المقدس".

وقد تم سن قانون في كونيكتكت في نيسان/ابريل 2005، وكان بالإجماع تقريباً، يمنح القرينين الشاذين الحقوق القانونية نفسها المضمونة للمتزوجين من جنس آخر، ومن جملة ذلك الإجازة العائلية، والمنافع الضريبية والتأمينية، والزيارات إلى المستشفى، مع نص يعرف الزواج بوصفه ارتباطاً بين رجل وامرأة. وهذا تقسيم منطقي وبسيط للمسؤوليات بين الكنيسة والدولة أشعر معه بالارتياح. وبديلنا الوحيد هو أن نديم النزاع الديني غير الضروري وننتظر من المحكمة العليا الأمريكية أن تعطي جواباً نهائياً للأسئلة القانونية.

✳ ✳